سلسة "طب القلوب"

علاج قسوة القلب

د/ عبد الحي الفرماوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بجامعة الأزهر

الكتاب: علاج قسوة القلب

تأليف: د/ عبد الحي الفرماوي

بريد إلكتروني: www.islamguidance.com

الناشر: دار أريج للنشر

4 شارع اليسر- متفرع من شارع مكة- الدقي.

ص.ب: 463 الدقي.

ت&ف: 3387836 ـ 3366963 ـ 3379910 (202)+

البريد الإلكتروني: info@areej.com.eg

موقعنا على الإنترنت: www.areej.com.eg

رقم الإيداع 17940 / 2003

الترقيم الدولى 8 - 27 - 6103 - 977

الطبعة الأولى: 1424هـ ـ 2003م

دعوة

إذا كان لديكم فكرة أو عمل مميز، هادف، نافع، يخدم أمتنا العربية، في أي ميدان من ميادين العلم، فإن أريج يشرفها التعاون معكم.

علاج
قسوة القلب

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه، واقتدوا به إلى يوم الدين. وبعد:

ونذكركم بأن علماء مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي قد أجمعوا في قرارهم رقم (5) عام 1988م أن:

"حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصونة شرعًا، ولأصحابها حق التصرف فيها، ولا يجوز الاعتداء عليها".

الناشر
أريج للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[الزمر: 22]

* * *

قال ﷺ

"لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي"

[رواه الترمذي، ك الزهد]

تساؤل .. واتفاق

عزيزي القارئ ..

هل لم تشعر يومًا: بوخزة ضمير، أولم تتألم مرة: من شكة ندم. . ؟

وهل ما تأثرت يومًا: بدمعة يتيم، أوما أحسست مرة: بأنّة مريض. . ؟

وهل ما تفطّر قلبك لمنظر تمزق جثة شهيد. . ؟

وهل ما تمنيت مرة نصرة مظلوم من ظالم عنيد. . ؟

وهل يلاحظ أهلك في قلبك القسوة والجمود. . ؟

* * *

إذا كان هذا، أو شيء منه. . قد حدث. . ؟

فأنت مريض، وبقراءتك لهذا الكتاب: قد بقى فيك خير كثير.

حيث إنك: تريد العلاج

* * *

ولكن. . ما هذا المرض. . ؟

إنه عزيزي القارئ: مرض قلبي.

* * *

فهل تريد.. أن تَعِرف، وتتعًرف، على هذا المرض..؟

لا تخجل..

قل: نعم.. مرضاة لله تعالى..!

* * *

وهل إن عرفت، وتأكدت- لا قدر الله- أنك مريض: عندك الاستعداد للعلاج من هذا المرض.. عن طريق (طب القلوب)..؟

لا تخجل..

قل: نعم.. مرضاة لله تعالى..!

* * *

إذن.. أدعوك- الآن- لقراءة هذا الكتيب..

فنحن.. من خلال صفحاته، وبعون الله تعالى، وإفادة من: القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ، وسيرة السلف الصالح، وكتابات العلماء العاملين..

نبين الداء. . !

ونصف الدواء. . !

ومن الله يكون الشفاء. . !

*　　*　　*

والله تعالى: يهدينا ويهديك، ويعافينا ويعافيك. .

إنه سبحانه؛. ولي ذلك، والقادر عليه.

نقاط البحث

نتناول- بتوفيق الله تعالى- طب هذا المرض في النقاط التالية:

(أ) قسوة القلب.

(ب) خطورة قسوة القلب.

(ج) المصابون بقسوة القلب.

(د) أسباب قسوة القلب.

(هـ) علاج هذا الداء.

وذلك على النحو الذي تطالعه- شفاني الله وإياك منه- في الصفحات التالية:

أعراض قسوة القلب

عدم التأثر بالموعظة وذكر الله، جمود العين وبخلها بالدموع، لا رحمة بالصغير، ولا عطف على الفقير.

عدم التأثر بما يصيب الغير من الألم، أو الأذى.

عدم الاهتمام بأمور المسلمين، وفقدان الرغبة في نصرة الإسلام وأهله.

عدم الإحساس بخطورة احتلال المقدسات، وانتهاك الحرمات، واغتصاب أعراض المسلمات.

لاحظ جيداً: أنه قد توجد هذه الأعراض كلها، أو شيئًا منها.

مخاطر قسوة القلب

قالوا: ما أصيب أحد بمصيبة أعظم من قساوة قلبه[1].

ذلك أن قساوة القلب[2]

1 . تذهب اللين والرحمة والخشوع من القلب.. وإن مجتمعا ينعدم اللين والرحمة بين أفراده: لهو مجتمع شقي، كما أن مجتمعًا لا خشوع في قلوب أهله: لهو مجتمع محروم من كل خير.

2 . تزيل النعم، وتأتي بالنقم، وتؤدي إلى الفرقة، وعدم التآلف، وذهاب الأخوة.

3 . تكثر الضغناء والعداوة بين أفراد المجتمع، بل بين المجتمعات.

4 . تؤدي إلى كراهية الناس لصاحب هذا المرض، والانصراف من حوله، والابتعاد عنه، يقول تعالى ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

5. تقعـد صاحبهـا عن الخير، وتصـده عن الهداية، وتغرقه في بحار الشهوات.

6. تعتـبر- قسـوة القلب- بوابة تفتح الـقلب لدخول الأمراض فيه، وهجومها عليه.

7. تعرض صاحبها لإغواء الشـياطين، ووقوعه فريسة لهم، يقول تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُـواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُـمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَـا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 42، 43].

8. توقع صاحبها تحت تهديد المولى سبحان وتعالى له بالعـذاب الأليم في نار جهنم. ﴿فَـوَيْلٌ لِّلْقَـاسِيَـةِ قُلُوبُهُم﴾ [الزمر: 22].

9. تقـرب قاسي القلب من زمـرة اليهـود، وعصـاة الأمم.

يقول تعالى لليهـود: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: 74].

المصابون بقسوة القلب

والمصابون بـهذا المرض اللعين فئات كثيرة، وبيانها كالتالي:

1. اليهود.

يقول تعالي: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 72- 74].

ويقول تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ [المائدة: 13].

وهاهم ما يفعلون في النساء والأطفال في فلسطين، ما يؤكد أنه لا قلوب لهم بالمرة.

2. كثير من الأمم السابقة.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 42-43].

3. الذين أوتوا الكتاب من قبل.

يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16].

4. البعيدون عن ذكر الله وطاعته عامة، المشغولون بالدنيا.

يقول سبحانه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا

مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 22-23].

أسباب قسوة القلب

وهي كثيرة:

نذكر منها- للتذكرة- ما يلي:

1. الرّكون إلى الدنيا والغرور بأهلها.

وهذا من أعظم الأسباب التي تُقسي القلوب والعياذ بالله تبارك وتعالى.

فإذا اشتغل العبد بالأخذ والبيع واشتغل أيضًا بهذه الفتن الزائلة والمحن الحائلة: فسرعان ما يقسو قلبه؛ لأنه بعيد عن من يذكره بالله تبارك وتعالى.

فلذلك ينبغي على الإنسان إذا أراد أن يوغل في هذه الدنيا أن يوغل برفق.

فديننا ليس دين رهبانية، ولم يحرّم الحلال سبحانه وتعالى، ولم يَحُلْ بيننا وبين الطيبات.

ولكن رويدًا رويدًا!!

فأقدار قد سبق بها القلم، وأرزاق قد قضيت. يأخذ الإنسان بأسبابها دون أن يغالب القضاء والقدر، يأخذها برفق ورضى عن الله تبارك وتعالى في يسير يأتيه، وحمد وشكر لبارئه، فسرعان ما توضع له البركة ويُكفَى فتنة القسوة.

نسأل الله العافية منها.

فلذا من أعظم الأسباب التي تستوجب قسوة القلب: الركون إلى الدنيا، وتجدهم- أهل القسوة- غالبًا عندهم عناية بالدنيا، يُضَحُّون بكل شيء!!

يضحّون بأوقات الصلوات!!

ويضحّون بالأعمال الصالحة...

ولكن لا يضحون بلذات الدنيا.

فلا يمكن أن يضحي الواحد منهم بدينار أو درهم منها!!

فلذلك دخلت هذه الدنيا إلى القلب، والدنيا شُعَب، ولو عرف العبد حقيقة هذه الشُعَب لأصبح وأمسى ولسانه يلهج إلى ربه.. قائلاً:

رب نجني من فتنة هذه الدنيا.

فإن في الدنيا شعبًا: ما مال القلب إلى واحدٍ منها إلا استهواه لما بعده، ثم إلى ما بعده، حتى يبتعد عن الله عزَّ وجلَّ، وعندها تسقط مكانته عند الله ولا يبالي الله به في أي واد من أودية الدنيا هلك، والعياذ بالله.

إن هذا العبد الذي نسي ربّه وأقبل على هذه الدنيا مُجِلا لها، ومُكرمًا، فعظّم ما لا يستحق التعظيم، واستهان بمَن يستحق الإجلال والتعظيم والتكريم سبحانه وتعالى، تكون عاقبته والعياذ بالله من أسوأ العواقب[3].

2. الجلوس مع الفُساق ومعاشرة من لا خير في معاشرته.

ولذلك..

ما ألف الإنسان صحبةً لا خير في صحبتها: إلا قسى قلبه عن ذكر الله تبارك وتعالى..

ولا طَلَبَ الأخيار: إلا رققوا قلبه لله الواحد القهار، ولا حرص على مجالسهم: إلا جاءته الرقة شاء أو أبى، جاءت لكي تسكن سويداء قلبه فتخرجه عبدًا صالحًا مُصلحًا، قد جعل الآخرة نصيب عينيه.

لذلك: ينبغي للإنسان إذا عاشر الأشرار.. أن يعاشرهم بحذر وأن يكون ذلك على قدر الحاجة حتى يسلم له دينه، فرأس المال في هذه الدنيا هو الدين[3].

3. كثرة الكلام بغير ذكر الله.

في حديث عمر ﷺ.. قال رسول الله ﷺ: "لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي"[4]

عن أبي هريرة ﷺ، قال: رسول الله ﷺ: "كثرة الضحك: تميت القلب"[5]

4. كثرة الذنوب.

عن أبي هريرة ﷺ، قال: رسول الله ﷺ: "إن المؤمن إذا أذنب: كانت نكتة سوداء في قلبه.

فإن تاب ونزع واستغفر: صقل قلبه.

وإن زاد: زادت، حتى يعلو قلبه".

فذلك الران[6]، الذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 16].

قال يحيى بن معاذ:

ما جفت الدموع: إلا لقساوة القلوب.

وما قست القلوب: إلا لكثرة الذنوب.

وما كثرت الذنوب: إلا لكثرة العيوب.

علاج قسوة القلوب

1. المعرفة بالله تبارك وتعالى.

لأن معرفة العبد بربه: ترقق قلبه من خشية الله تعالى، وتزيل منه قسوته وجموده.

حيث إنك لا تجد قلبًا قاسيًا.. إلا وتجد صاحبه أجهل الناس بالله عز وجل، وأبعدهم عن المعرفة به، وبطشه وعذابه، وأجهلهم- كذلك- بنعيم الله، ورحمته.

وأيأس ما يكون من روح الله.

وذلك: لجهله بالله عز وجل.

وإذْ لما جهل هذا الإنسان ربّه.. تجرأ على حرماته، ولم يعرف إلا شهواته وملذاته.

لذلك: كانت المعرفة بالله.. طريقًا جيدًا، لعلاج قسوة القلب[3].

2. ذكر الله عز وجل في السر والعلانية، في السراء والضراء، في الليل والنهار في كل الأحوال

يقول تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

وفي الحديث: "إن هذه القلوب تصدأ، كما يصدأ الحديد"، قيل: فما جلاؤها يا رسول الله..؟

قال: "تلاوة كتاب الله، وكثرة ذكره"[7].

وقال يحيى بن معاذ: دواء القلب خمسة أشياء.

قراءة القرآن بالتفكر.

وخلاء البطن.

وقيام الليل.

والتضرع عند السجود.

ومجالسة الصالحين[1].

وشكا رجل إلى الحسن قسوة قلبه، فقال له: "عليك بذكر الله"

* * *

ويقول تعالى داعيًا لأحبابه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16].

3. النظر في آيات الله والاعتبار بها.

حيث إنه ما نظر الإنسان رجلاً كان أو امرأة- في آيات الله- في الأنفس أو الآفاق، أو القرآن الكريم، وكان عند نظره، وقراءته، حاضر القلب، مفكرًا متأملاً.. إلا وجدت العين منه تدمع، والقلب فيه يخشع، والنفس لديه تتوهج من أعماقها رقة وخشوعًا وانكسارًا.

وصدق الله إذ يقول على كتابه الكريم، وقرائه الخاشعين: ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23].

لذلك: ما أهمل عبد تلاوة القرآن، والتفكير فيه: إلا قسا قلبه، وتحجرت عواطفه.

ومن هنا: كان النظر في آيات الله والاعتبار بها.. طريقًا جيداً لعلاج قسوة القلب.

4. تذكر الآخرة:

حيث إن من لا يتذكر: أن لكل بداية نهاية، وأن العبد صائر إلى الله، وأنه لابد من حساب، وأنه لابد من جنة أو نار..!

كما أن من لا يتذكر: أن الحياة زائلة، وأن متاعها فانٍ، وبهجتها راحلة، وأنها دار غرور..!

دعاه كل ذلك: إلى الإقبال على الدنيا، والانشغال بها، والبعد تدريجيًا عن الخوف من الله، وقلة الاستعداد ليوم لقاه.

وعندها: يقسو القلب، وتتحجر عواطفه.

لذلك: كان تذكر الآخرة: مع زيارة القبور. طريقًا جيداً، لعلاج قسوة القلب.

5. زيارة المقابر

ففيها فوائد كثيرة منها:

تذكر الموت.

وتقصر الأمل.

وترقق القلب.

وتوجد الخشية.

قال ابن المنكدر: على رجل يكثر من زيارة المقابر، هذا رجل يحرك قلبه بذكر الموت، كلما عرضت له قسوة[7].

وقال أحد الصالحين: ما اشتقت إلى البكاء إلا مررت عليه.

قال له رجل: وكيف ذلك..؟

قال: إذا أردت ذلك، خرجت إلى المقابر، فجلست إلى بعض تلك القبور، ثم فكرت فيما صاروا إليه من البلى، وذكرت ما نحن فيه من المهلة.

قال: فعند ذلك: تختفي قسوة قلبي[8].

6. الإحسان إلى اليتامى والمساكين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه.. أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه.

فقال له: "إن أحببت أن يلين قلبك: فامسح رأس اليتيم وأطعم المسكين"(9).

7. كثرة الدعاء.

اللهم.. إني أعوذ بك:

من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي(10).

قالوا: يا رسول الله ﷺ أي المال نتخذ..؟

قال: "ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة"(11).

"اللهم إني: أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك لسانًا صادقًا، وقلبًا سليمًا، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، واستغفرك مما تعلم.. إنك علام الغيوب".

اللهم إنّا نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى أن تهب لَنا قلوبًا لَيّنةً، تخشع لذكرك وشكرك.

اللهم إنّا نسألك قلوبًا تطمئن لذكرك..

اللهم إنّا نسألك ألسنة تلهج بشكرك..

اللهم إنّا نسألك إيمانًا كاملاً، ويقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، وعلمًا نافعًا، وعملاً صالحًا مقبولاً عندك يا كريم.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

سبحان ربك ربَ العزّة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

المصادر.. والفهارس

* مصادر البحث.

* فهرس محتويات البحث.

المصادر.. والحواشي

1. أبو نعيم الأصفهاني.. حلية الأولياء 269/8، 142

2. انظر: رائد فؤاد باجوري.. الأمراض القلبية ص 24 وما بعدها.

3. محمد المختار الشنقيطي.. كيف ترق قلوبنا؟ ص 8 وما بعدها.

4. رواه الترمذي.. ك: الزهد.

5. رواه: الترمذي، وابن ماجه.. ك: الزهد.

6. رواه البيهقي في الشعب رقم (1859).

7. ابن رجب.. أهوال القبور ص 227 (نقلاً من الأمراض القلبية.. رائد فؤاد).

8. ابن رجب.. ذم قسوة القلب ص 32 (نقلاً من الأمراض القلبية.. رائد فؤاد).

9. أحمد في المسند 263/2، والهيثمي في مجمع الزوائد 160/8.

10. رواه: أبو داود.. ك: الوتر، باب: في الاستعاذة.

11. رواه: ابن ماجه.. ك: النكاح، باب: أفضل النساء.

12. رواه الترمذي.. ك: الدعوات، باب 23.

فهرس محتويات البحث

فهارس البحث